من سير أعلام الشهداء

٣٣

[أبو الشهيد - أبو عمار]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبو الشهيد – أبو عمار

هو صاحب الهمّة العالية، والنّفس الأبيّة، والذي إذا إقتنع أبدع، وإذا كره أوقع، يحسده النّشاط على خفّته ويختبأ الكسل عند رؤيته، صاحب القدم والسّبق في الجهاد والرباط، المهاجر إلى الله بأهله وولده، والبائع نفسه وماله لله وبالله، أعني " أبا بكر السوري الحلبي "، والمتسمى بأرض الرافدين بـ "أبي عمار السوري".

أيقن الشّهيد " رحمه الله " مبكراً صدق منهج المجاهدين وعلو مترلتهم ، وبالمقابل أدرك وعاين سفالة منهج العلمانيين وإنحطاط مذاهبهم ومشاربهم وسوء طويتهم وخبث مقصدهم، وعاين كما عاين أمثاله من أولي البصائرعمالة طواغيت العرب وإنبطاح عقولهم أمام التكبر والتجبر الصهيوني الصليبي، فالتحق مبكراً مع جماعة أبي عائشة بلبنان بل كان من مؤسسيها وحاول معهم فعل شيء يرفع الهمّة ببلاد الشام ولكن مشيئة الله غالبة، فقد اكتُشِفَ أمرهم مبكراً فهرب بأهله إلى الأردن ثم التحق بأفغانستان، وهناك عمل مع منظمة " وفا " الخيرية – هي منظمة أسسها بعض شيوخ الجزيرة لغرض العمل الخيري -.

ثم رحل من أفغانستان إلى باكستان ومنها إلى سوريا ثم قدم بأهله إلى العراق. وفي العراق بدأت تتكشف حقيقة القائد وقدراته الفذه وطموحه العالي وذهنه الوقاد.
فما إن وضعت الحرب أوزارها مع البعثية حتى بدأ يدب الأرض بأقدام أرسخ من الجبال نحو العزّة والفداء، فاتصل بالقائد الحبيب أبي مصعب الزرقاوي " رحمه الله " وبدأ معه أول رحلات الجهاد، وكان ذلك في مدينة الفلوجة وقبل أن تبرز كرمز للجهاد، إلا أن عيون عملاء وجواسيس الأمريكان رصدته، وقبل الإيقاع به كان الشهيد قد حط ببغداد وهناك عملتُ معه، أدبٌ وتواضعٌ وهمّةٌ وخدمةٌ وكل ما يمكن أن تحبه في أخ، فشارك في التحضير لعدة عمليات إستشهادية كان منها أول عملية ضد عملاء الأمريكان من الشرطة في منطقة الراشدية وبمشاركة الأخ الشهيد الحبيب الملا ثامر " رحمه الله "، وكان الأخ الأستشهادي هو عبدالرحمن المغربي، ولهذا الأخ قصة عجيبة فلا تسل عن التواضع والعبادة والدين، وأعجب ما في الموضوع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن الأخ كان لا يحسن أبداً قيادة السيارة وكان يبكي يريد أن ينفذ عملية إستشهادية ويدعو ويتـضرع إلى الله، ولما أردنا أن نختبره في القيادة، كان الحائط هو أول أهدافه، فتم استبعاده. فبكى وبكـى حـتى حزنـا جميعاً، ولما جاء الملا ثامر لزيارة أبي عمار عرف السبب ، قال: قم معي الآن وأخذه يعلمه القيادة وخـلال ثلاثة أيام وبمعدل ساعة إلى ساعتين في اليوم أحسن الحبيب القيادة وكأنه يقود منذ سنين، ونفذ عملية مـن أصعب العمليات والتي تطلب مهارة عالية في القيادة وليعلمنا درساً مبكراً، أن تقوى الله وصـدق العزيمـة والدعاء والإبتهال إلى من بيده مقاليد الأمور هي خير معين على بلوغ المراد.

عودة إلى الشهيد الحبيب أبي عمار، ولما اضطررنا إلى مغادرة بغداد نظراً لأمور كثيرة، غادرت وغادر معـي إلى نواحي الفلوجة ثم دخلنا إليها تقريباً سوياً، ثم شاءت الأقدار أن أكون معه في بيت عمر حديـد وقـت اقتحام الفلوجة الأول، وخرج كما خرجت بلا سلاح، وغنم كما غنمت. ثم تقدم الشهيد البطـل باتجـاه الجولان على غير تخطيط مسبق ووجدنا أنفسنا في حي الأكراد عند المدرسة، وهناك حاولت عدّة دبابـات التقدم لكن الأخ البطل " سالم " تقدم فدمر أولها ثم تابعوا التقدم فدمّر الثانية الأخ " محمـد "، وفي تلـك الأثناء جاء الطيران السمتي فأول من بدأ أو كان من أوائل من بدأ إطلاق النار تجاهها الـشهيد أبي عمـار بسلاحه الآر بي جي الذي كان معه، وبعدها أمطر جميع الأخوة السمتيه بما تيسر معهم من سلاح، وشوهد على إثره دخان كثيف ينبعث من مؤخرة الطائرة فكبّر أبو عمار وكبّر كل من حوله وأخذتُ أعانقه ونتعانق جميعاً، فها هو العدو الأكبر يتهاوى أمام أعيننا، الآن حيّد أخطر سلاح ضدنا الطيران السمتي، تجرئنا عليـه وكانت هذه أول مرة في العراق يتجرأ المجاهدون على الطيران ولتصبح بعد ذلك عادة الأبطـال في العـراق لدرجة أنهم في بعض الأحيان كانوا يتمنون قدومها وعرف العدو ذلك بعد عدة مروحيات سقطت فما عاد يرسل غربانه لتقع في شبكة الصيّاد.

ثم تقدم الشهيد وتقدمت معه بإتجاه " علوة المخضر " بالجولان وهناك قال لي هو والأخوة: أنت أميرنا، قلت له: لا، أنا لا أعرف المدينة جيداً ولا أين يمكن الدفاع والهجوم، لكن أنت يا أبا عمار سكنتَ بهـا وأنـت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمير وأنا معك أخ وخادم ، فرفض ، وأصررت فوافق، ومضينا نرتب المجموعات ونرفع المعنويات وكان لأبي عمار في ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر فكان حقاً صاحب همة عالية وتكبيرة تزرع الثقة في نفس الجبان.

فكان إذا هجم العدو من مكان يدفع في الأخوة دفعاً، " تقدم يا بطل- من هناك يا أسد- الله أكبر أصبت الهدف – هكذا قتال الشهداء ". ونحو ذلك من التشجيع ورفع الهمة مع حرص على إخوانه وعدم وجود إي معصية في وسطنا. وفي أحد الليالي الحالكة صبّ العدو نيران حقده وحسده على الجميع، فأُصِبْتُ وأُصِيْبَ الكثير من الأخوة وتقدم العدو إلى مداخل المدينة واحتل حي الأكراد، لكن أبا عمار كان نعم الرجل في وقت الشدائد، فما وهن وما ضعف بل شد وكبّر - وإلى جانبه إبنه عمار – يجر سلاحه ويقاتل بجانب أبيه يرفض الذهاب إلى أمه، حيث كانت المرأة من القلائل اللاتي ترفض ترك المدينة، فصبرت ووقفت مع المجاهدين، تخبز وتطهي وتغسل الملابس لهم، وذلك في بيت القائد عمر حديد مع أمه وإخوانه، أسأل الله أن يحفظهم جميعاً.

ثم رأى أبو عمار أن يطهر حي الجولان من المعاصي والذنوب فمنع أن يجاهد فيه كل شارب سجائر أو يدخله، وكل غريب يدخل الحي ليلتحق بنا يسأله من أين أتى؟ ومن أرسلك؟ ومن تعرف؟ ولماذا جئت؟ وإلى غير ذلك حتى طهر الحي تماماً من الجواسيس فصار يُضرب به المثل في التنظيم والشجاعة والنكاية في العدو. وشاءت الأقدار أن يحاول العدو اقتحام المدينة من جهة السكة، أي من جهة حي الجولان، لكن أبا عمار وإخوانه كانوا له بالمرصاد فصدوهم وأرهقوهم. وأذكر أنه في آخر حملات هذا العدو بدأ هجومه عند أذان الفجر فتقدم القناصة ثم الدبابات وتم صد أول هجماته وتدمير دبابة له، فتوقفوا ساعة ثم أعادوا الكرة فتم تدمير أخرى، ثم رجعوا وتوقفوا ساعة، ثم أعادوا الكرّة فتم تدمير أخرى، ثم رجعوا وتوقفوا ساعة ثم تقدموا ثالثة وكان الإعياء قد بلغ بنا كل مبلغ وقاربت الساعة من الثالثة عصراً وأوشك سلاحنا على النفاد وكثرت الجراح بلا شهداء والحمد لله. فتم دحره وتدمير بيت كان به القناصة، وأذكر ساعتها أن أبا عمار قال: قم شجّع الأخوة فما عدت أستطيع القيام، فقلت قم أنت والله ما أستطيع، وهكذا كان حالنا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعب والإرهاق واندحر العدو في هذا اليوم، وما عاد لمثلها والحمد لله. وصار حي الجولان مضرب المثل في الشجاعة وحق الترتيب وكان لأبي عمار بعد الله الفضل الكبير في ذلك.

ثم انقضت الفلوجة الأولى وبدأ أبو عمار ترتيب أوضاع المدينة مع إخوانه إلا أنه التفت لأمر آخر وهو أمـــر العمل الخارجي، وهكذا كان حاله مع الأخوة، وشارك أثناء ذلك في عدة عمليــات كــان منــها ضــد الــC.I.A على طريق المطار ببغداد وعدة عمليات ضد الشرطة.

و في أثناء ذلك اتخذ الأخوة قرار اقتحام سجن أبي غريب، فأعد الأخوة العدة لذلك وتمت العمليـــة بقيـــادة الشهيد أبي محمد اللبناني وذهب الأخوة إلى الهدف وأحاطوا به، إلا أن تأخر السيارات الإستشهادية وعـــدم قيام جماعة الصواريخ بالواجب أدى إلى إلغاء العملية بعد أن حاصر الأخوة الهدف لمدة ربع ســـاعة وعـــاد الشباب، وفي أثناء ذلك اتخذ الأخوة قرار العودة مرة ثانية إلى الهدف وذلك بعد خمسة أيام من المـــرة الأولى وذلك لأسباب منها :

١. الخوف من أن يزيد العدو تحصيناته على الهدف.

٢. مفاجأة العدو والصديق على حد سواء إذ أنه من الصعب تصور أن الأخوة يعيدون الكرة خـــلال هـــذه الفترة البسيط.

و أخيراً وُجِدَ أبو عمار بعد ثلاثة أيام على بُعد مترين في الأرض من أثر الهدف و لم يتغير منه شيء، بل كان كأنّه مات من لحظات ونُقِلَ ليُدْفَن بالقرب من إخوانه في مقبرة الشّهداء، وليشهدهم أنه ما تخلف بعـــدهم، ففقدت المدينة بفقده أحد أهم أبطالها ورجالها، وليترك بعده شبلٌ وأسد ليتم الطريق بعده هو أبنه عمار.

ابن الشهيد " عمار "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انتقل الشهيد إلى جوار إخوانه في جنات النعيم – نحسبهم والله حسيبهم – وترك خمسة أبناء ، أربعة ذكور وبُنيه، كبيرهم عمار، له من العمر أربعة عشر عاماً، فرحت به أمه لأنه مضى على نهج أبيه، فالولد ابن الوالد يعشق البارود عوداً والغبار عبيقاً وذكت أمه هذه الروح فيه، ومضى مع أعمامه يحرس ويتدرب وخاصة على الهاون مع عمه أبي عمر.

و مضت أحداث الفلوجة الثانية تقترب وبدأت العوائل تخرج من الفلوجة، الرجال والنساء على حد سواء، لكن عمار وأمه رفضا ذلك بإصرار عجيب، وكانت أم عمار قد رأت رؤيا قبل مقتل زوجها، رأت أن زوجها يرزق الشهادة في الشهر التاسع وتلد ولداً وبالفعل وفي منتصف الشهر التاسع بالضبط قُتل أبو عمار مع إخوانه شهيداً نحسبه والله حسيبه، وحان وقت ولادة الصغير، وعلى الرغم من ضيق الوضع في الفلوجة وشدة القصف وعنف المواجهات والتي بلغت ذروتها من قبل رمضان باسبوعين، إلا أن أم عمار رفضت الخروج وقالت أموت هنا في أرض الجهاد بين أخواني ولا أخرج، ولما ذهبت إلى الطبيبة تبين أنها لا بد من فحوصات معينة وقد تضع بعملية قيسرية ومع الإلحاح والضغط وافقت على الذهاب إلى بغداد ولكن كانت المفاجأة أنها وبعدما وضعت بثلاثة أيام وفي أثناء نفاسها رجعت المرأه إلى الفلوجة لتُقبر كما قالت في الأرض التي عشقها زوجها ومات فيها مع إخوانه المجاهدين، وتطورت الأوضاع إلى حد كبير وصار القصف يطال الأُسَر الآمنة، وبدأت ملامح جريمة المحتل تظهر لكل أعمى وبدأ منظر الأطفال تحت الجدران مألوفاً، ومع ذلك أصرت المرأة على البقاء ومع شدة الأزمة خرج الأخوة إلى الجبهة، وكانت الأخت تعيش مع أسرة عراقية مجاهدة، لكن هذه الأسرة أيضاً قررت المغادرة، فقلنا لها يا أم عمار لم يبق أحد يقوم على شؤونك وأولادك هنا ووجودك يشكل عبئاً علينا، والله يكتب لك الأجر ويهديك، فقالت: الأمر لله.. أخرج ، لكن يبقى عمار يقاتل معكم.

وبالفعل بقي عمار مع أعمامه يخدمهم ويحرس ويقاتل معهم، ثم دخلت أحداث الفلوجة الثانية، وحينما كنت في حي نزال أمام جامع الفردوس حيث انتقل الى الفردوس عدد كبير من الشهداء – نحسبهم كذلك – مرّ عليّ عمار يركب سيارة بيك أب فسلّم، فقلت عمار حبيبي أين أنت الآن؟، قال: أنا يا عمي مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهاون عند عمي أبي عمر، وانطلقت السيارة وهو يبتسم ويلوح بيده إليّ، وكانت آخر إبتسامة أراهـــا مـــن الفتى.

فبعد يومين توقفت بالقرب من سيارة كيا بيك أب ثم قال صاحبها عمار هنا في السيارة، قلت أين؟ وأسقط فؤادي قال استشهد. هاهو في نهاية السيارة، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون، وأصابني حزن وألم قطّع كبدي، ثم أبتعدت عن السيارة فلم أستطع أن أنظر إليه، وعلم الله أني حزنت عليه حزناً لا يوصف، بل إني لا أبـــالغ أني حزنت عليه أكثر من أبيه بكثير، ولا أدري ما السبب!، هل هي شفقتي على الصبي، أم على أم الـــصبي والتي احتسبت ولدها وزوجها في سبيل الله مع غربة شديدة، وزاد عليها أنها لا تستطيع أن ترجع إلى أهلها في سوريا لأن العلويين المجرمين وضعوا امراً بالقبض عليها وسجنوا اخيها عاماً لأنها خرجت مع زوجهـــا في العراق بعد تعهدها بعدم السفر، فجمعت من المآسي ما الله به عليم.

هذا على ضيق المأوى هنا في العراق، وتقلّب المسكينة من بيت إلى بيت، فلا تكاد تقيم في بيت أكثـــر مـــن شهر لاسباب أهمها خوف أصحاب البيوت على أنفسهم أن يعلم أن عندهم أسرة عربيـــة. أســـأل الله أن يحفظها وسائر أولادها وأن يخلفنا في عمار وأبيه خيراً، والله المستعان.

وكتبه:

أبو اسماعيل المهاجر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com